ثورة الأمام الحسين عليه السلام تجسيد لسطوة الفعل المناهض للإرهاب

الدكتورة
هدى محمد سلمان
جامعة بغداد ـ مركز البحوث التربوية والنفسية
virgin_dr@yahoo.com

ما نودّ قوله اليوم وهو استنتاج جامع ورؤية جديدة للقضية هو أنّ البعض يودّ أن يقول: إنّ هدف ثورة أبي عبد الله الحسين عليه السلام هو إسقاط حكومة يزيد الفاسدة وإقامة حكومة بديلة. هذا القول شبه صحيح وليس بخطأ، لأنّه لو كان القصد من هذا الكلام هو أنّ الحسين عليه السلام ثار لأجل إقامة حكومة بحيث إنّه لو رأى أنّه لن يصل إلى نتيجة لقال لقد قمنا بما علينا فلنرجع، وهذا خطأٌ. فلو كان الهدف إقامة الحكومة فإنّه يجوز للإنسان أن يمضي قدماً ما دام هناك إمكانية. ولهذا عليه أن يرجع مع فقدانها. فلو قال قائل: إن هدف الإمام من هذه الثورة هو إقامة الحكومة العلويّة الحقّة، فهذا غير صحيح، لأنّ مجموع التحرّك لا يدلّ على ذلك.

وبعضٌ على العكس من ذلك، قالوا: ما الحكومة؟ إنّ الحسين عليه السلام كان يعلم بعدم تمكّنه من إقامة الحكومة، إنّه جاء لأجل أن يُقتل ويستشهد.

كان هدفه أداء واجب عظيم من واجبات الدين لم يؤدّه أحد قبله، لا النبيّ صلى الله عليه وآله ولا أمير المؤمنين عليه السلام ولا الإمام الحسن المجتبى عليه السلام، واجب يحتلّ مكاناً هامّاً في البناء العام للنظام الفكريّ والقيميّ والعمليّ للإسلام. ورغم أنّ هذا الواجب مهمٌ وأساس، فلماذا لم يؤدَّ حتّى عهد الإمام الحسين عليه السلام؟ كان يجب على الإمام الحسين عليه السلام القيام بهذا الواجب ليكون درساً على مرّ التاريخ، مثلما أنّ تأسيس النبيّ صلى الله عليه وآله للحكومة الإسلامية أصبح درساً على مرّ تاريخ الإسلام، ومثلما أصبح جهاد النبيّ صلى الله عليه وآله في سبيل الله درساً على مرّ تاريخ المسلمين وتاريخ البشرية إلى الأبد. كان ينبغي أن يؤدّي الإمام الحسين عليه السلام هذا الواجب ليصبح درساً عملياً للمسلمين وعلى مرّ التاريخ.

إنّ ثورة الإمام الحسين عليه السلام كانت لتأدية واجب عظيم وهو إعادة الإسلام والمجتمع

الإسلاميّ إلى الخطّ الصحيح أو الثورة ضدّ الانحرافات الخطيرة في المجتمع الإسلاميّ. وهذا ما يتمّ عن طريق الثورة وعن طريق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، بل هو مصداق عظيم للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. بالطبع، فقد تكون نتيجتها إقامة الحكومة، وقد تكون الشهادة، وهذا الواجب يتوجّه إلى كلّ فرد من المسلمين عبر التاريخ، وهو أنّه على كلّ مسلم لزوم الثورة حال رؤية تفشّي الفساد في جذور المجتمع الإسلاميّ بحيث يُخاف من تغييرٍ كلّي في أحكام الإسلام، بالطبع إذا كانت الظروف مؤاتية، وعلم بأنّ لهذه الثورة نتيجة. وليس من الشروط البقاء على قيد الحياة وعدم القتل وعدم التعرّض للتعذيب والأذى والمعاناة. فالحسين عليه السلام قد ثار وقد كان الإمام الحسين عليه السلام مستعدّاً لكلتي النتيجتين.

لقد قام الإمام الحسين بن عليّ عليه السلام وأيقظ وجدان الناس. لهذا ظهرت بعد شهادة الإمام الحسين عليه السلام، تلك النهضات الإسلامية الّتي بدأت واحدة تلو الأخرى، والّتي حتماً جرى قمعها. ولكن ليس المهمّ أن يجري قمع التحرّك من قبل العدوّ وإن كان بالطبع مرّاً، ولكن ما هو أمرّ هو أن يصل المجتمع إلى حيث لا يظهر أيّة ردّة فعل مقابل العدوّ، هذا هو الخطر الأكبر.

النهضة الرؤيوية في مفهومها الإسلامي كقضية فكرية وتاريخية وكرؤية فلسفية تختلف في بعض مفاصلها عن مفهوم الثورة، فهي تدعوا إلى تحريك الوعي الجمعي من خلال موقف تسلسلي يقود إلى حتمية الخلاص من الظلم والقهر والسعي لبناء مجتمع يحقق الفلسفة التي أرادها الخالق تعالى شأنه في مسألة (الجعل إلهي) كما في قوله تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ (البقرة ٣١) التي تكشف عن إن مفهوم الخلافة الحقيقية إنما هي نص إلهي يقع في دائرة الوحي مما يعني انه ليس من اختصاصات المخلوق، وهي بالتالي تطرح مفهوما مستقبليا يتجاوز الآني إلى الآتي، نجد في المقابل إن القضية الثانية الثورة تحمل رؤى آنية في الأغلب، وهي قد تكون نتاجا لمفهوم النهضة وربما شكلا من أشكال تأثيراتها كمثل كل تلك الانتفاضات والثورات الإسلامية وغير الإسلامية التي تأثرت بالنهضة الحسينية وبفكرة شهادة الإمام الحسين عليه السلام على مسار حركة التاريخ.

لا تتكرس قضية الامام الحسين عليه السلام في شكل الشهادة وظروف تحققها مع إن هذا الجانب وحده يستحق البحث والتركيز عليه، ولكن الأهم في قضيته هي الطبيعة العقائدية لشهادته عليه السلام باعتبارها منهجا للعودة بالمشروع الإسلامي إلى أصالته الرسالية، ومن هنا

يجب ان يكون التساؤل ليس في كيفية قتل الإمام الحسين عليه السلام واستشهاده، وإنما يكون السؤال الأهم: "لأجل من أستشهد عليه السلام"؟

هذا التساؤل لا يجاب عليه من خلال ظروف وأحداث واقعة كربلاء أو حصر تاريخ الإمام الحسين عليه السلام في هذه المرحلة فقط، ولكن الإجابة تبدأ من حيث ولادته وظروفها ونشأته التكوينية والوجودية، حيث تعكس الحاجة المستمرة لوجود مصلحين مختارين من الله عز وجل لإنقاذ البشرية من ضحالة الانحطاط، وهنا تظهر قضية ارتباط الإصلاح بالإمامة بعد الرسالة الخاتم، فالإمامة ذاتها كفكرة إصلاحية تقع في دائرة الوحي وهي أمر الهي كما في قوله عز وجل: ﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ (القصص٥). نرى موقف تسلسلي يقود إلى حتمية الخلاص من الظلم والقهر والسعي لبناء مجتمع يحقق الفلسفة التي أرادها الخالق تعالى شأنه في مسألة (الجعل إلهي) كما في قوله تعالى ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ (البقرة ٣١) التي تكشف عن إن مفهوم الخلافة الحقيقية إنما هي نص إلهي يقع في دائرة الوحي مما يعني انه ليس من اختصاصات المخلوق، وهي بالتالي تطرح مفهوما مستقبليا يتجاوز الآني إلى الآتي، نجد في المقابل إن القضية الثانية الثورة تحمل رؤى آنية في الأغلب، وهي قد تكون نتاجا لمفهوم النهضة وربما شكلا من أشكال تأثيراتها كمثل كل تلك الانتفاضات والثورات الإسلامية وغير الإسلامية التي تأثرت بالنهضة الحسينية وبفكرة شهادة الإمام الحسين عليه السلام على مسار حركة التاريخ.

إن إدراك الأمة ووعيها بحقيقة قضية نهضة الإمام الحسين وشهادته إنما يتم من خلال رؤية معرفية باعتبارها قد حققت العلاقة بين العقيدة وحركة التاريخ حد الشهادة في ارض كربلاء، مما يعني إن شهادته قد أوجدت معنى لصيرورة تاريخية تتمسك بها الأمة في مشروعها المستقبلي إذ تكتسب النهضة الحسينية قيمتها باعتبارها فعلا حضاريا يركز على استعادة القيم السماوية في قبال الانحراف الكبير الذي قادته ما تسمى جزافا الدولة الاموية. فالدولة بالأصل ظاهرة حضارية وهي أيضا حاجة اجتماعية أيدها الوحي وجعلها بالأطر الإلهية من خلال خلافة الإنسان على الأرض، ولهذا لا يمكن أن تقع معايير الدولة في المفهوم الإسلامي خارج الإطار الشرعي، باعتبار إن الإسلام أمة وهو يدعو الى تحقيق (دولة الأمة) باعتبار انها تمثل واقعية الفكر الإسلامي كمنهج متطور، وهذا يعكس التباين

بين فكرتي (واقعية المعقول و معقولية الواقع) فالموقف الإسلامي من الواقع ينطلق من خلال قيم عليا تتمثل بوعي مؤمني الأمة بالعقيدة الإلهية وتشبثهم بالمثل العليا في تطبيق الشريعة على الأرض، وقد خصصنا هنا طبيعة الوعي بالمؤمنين حيث إن ليس كل الأمة تحتمل وعيا متطابقا بل ثمة تباين كبير في مستويات الوعي الجمعي، فظهور قيادات حقيقية ترتكز على الأسس الإلهية في مشروعها الإصلاحي إنما يمثل اعلى مستويات الوعي وهذا لا يتوفر لكل المسلمين ولا لكل المؤمنين فالوعي الادراكي بحقيقة الامر كان وعيا معصوما وهو من مميزات الأئمة عليهم السلام بعد الرسول الخاتم صلوات الله عليه وآله فمن الصعب جداً أن نجد في كتاب الإنسانية وفي تاريخ البشرية الطويل يوماً كيوم أبي عبد الله الحسين عليه السلام أنه اليوم الذي تجسد وتجلى فيه قول الله سبحانه وتعالى بأوضح صوره وبأ بلغ تعبيره أنه التجسيد الأمثل للقول السماوي الخالد: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ (التوبة: ٣٢). ولذلك فإن الحديث عن القضية الحسينية وعن الأثر الذي تتركه تلك القضية في نفوس وقلوب العظماء من العلماء والمفكرين لهو حديث طويل عن التضحية والفداء وعن العروج إلى السماء بحبال من النور (الدامي) من أجل أن تبقى الرسالة الإسلامية محمدية في وجودها، حسينية في بقائها واستمرارها إلى أن يرث الله الأرض وما عليها، يوم تأتي فاطمة عليها السلام حاملة قميص ابنها الإمام الحسين عليه السلام وهو ملطخ بالدماء عارضة إياه على الله أحكم الحاكمين.

أما الأثر الكربلائي على النفوس البشرية فإنه يتفاوت في قوته وعظمته، فالأثر عظيم بقدر عظمة النفس وحجم عزتها واتساع إبائها.

وبالطبع، فإني لا أريد هنا أن استعرض الدروس والعبر التي استخلصها العديد من علماء ومفكري العالم الإسلامي ولا أريد أيضاً أن أفلت العنان لقلمي المتواضع كي يسجل الآثار التي تركتها نهضة الإمام الحسين المباركة في نفوس الكثير من الأدباء والمفكرين المسيحيين الذين رأوا في الدماء الحسينية المسفوحة ظلماً صورة النبي المصطفى صلى الله عليه وآله المقتول غدراً من خلال قتل سبطه الذي أعطى الإنسانية دروساً لا تنسى في اختصار الطريق الموصل إلى ملكوت الله. فالكلام عن الإمام الحسين عند المسيحيين من أمثال جورج جرداق وبولس سلامة وعبد المسيح الإنطاكي وروكس بن زايد العزيزي وجبران خليل جبران

وغيرهم من عمالقة الفكر والأدب سيكون له مكان آخر في أبحاث لاحقة، ولكن ما نود قوله الآن هو أن هناك مرجعاً إسلامياً خالداً بآثاره وأعماله، استطاع أن يسبر أغوار الحركة الحسينية بحكمة بالغة وببصيرة نافذة قلما نجد لها نظيراً أو مثيلاً في مؤلفات ومصنفات العلماء والمفكرين المسلمين والمسيحيين على حد سواء.

لقد تناول فقيه الأمة الإسلامية المرجع الديني الراحل والإمام المجدد آية الله العظمى السيد محمد الحسيني الشيرازي قدس سره حركة الإمام في الكثير من مؤلفاته التي بلغ عددها الألف ومئتي كتاباً ونيف.

وهذا يعني أن حركة الامام الحسين لم تكن مجرد حركة منبثقة عن معركة حامية الوطيس بين الإمام الحسين عليه السلام ويزيد اللعين، وإنما هي حالة صراع بين تيارين يمثلان كمال الخير وكمال الشر، فالإمام الحسين عليه السلام هو الدين الكامل والقانون الشامل الذي يضمن للإنسان الارتقاء بإنسانيته إلى مستوى تحمل المسؤولية الفردية أمام ما تقتضيه المسؤوليات والواجبات الجماعية في ظل تعاليم خاتمة الرسالات الموجهة إلى بني آدم أجمعين.

وقد رأى الكثير من المفكرين صحة الصراع المبدئي الدائم بين الأيديولوجيتين المتناقضتين. فمازال المرء يجد أمامه دوماً حسيناً ويزيداً في كل زمان ومكان، وهما يتنازعان بين الحق والباطل، وأن هذا النزاع هو في الواقع تجسيد للصراع بين الخير والشر الذي ما زال قائماً.

وعلينا اتخاذ موقف ثابت وواضح منه. ولأن الصراع أبدي بين الإيمان والكفر، بين الحق والباطل، بين المبدأ واللا مبدأ، فعلينا أن نلتزم دائماً جانب الحق والخير والفضيلة في هذا الصراع فعندما خرج الإمام الحسين عليه السلام بأهل بيته الكرام عليهم السلام لخوض المعركة الحاسمة بين أتباع العقيدة الأموية القائمة على تحويل الدين إلى سلعة تجارية تأخذ في حسبانها سياسة الربح والخسارة دون إقامة أي وزن للتعاليم الروحية وللمبادئ الأخلاقية التي أرادت تلك الرسالة السماوية أن يتحلى بها كل إنسان على وجه البسيطة.

لذا بين القتل والثورة مسافة طويلة، هي المسافة بين الأيديولوجية، والشهادة من أجلها، وبين المغامرة، وشهوة الموت.. وبمعرفة الظروف الموضوعية التي أحاطت بثورة الإمام الحسين عليه السلام يمكننا التعرف عليها في شكلها النهائي وصورتها الحقيقية. وإلا فإن عنصر

العظمة في هذه الثورة، لا يكمن في استشهاد مائة رجل، وأسر مائة امرأة وطفل، ولا في بشاعة الطريقة التي مارس بها العدو عملية القتل بهم. فالتاريخ يحفل بثورات كثيرة، وتضحيات كثيرة واسراء بأعداد كثيرة. ولكن أيا منها لا يرقى إلى ثورة الإمام الحسين عليه السلام من حيث المستوى البطولي، نظرا إلى الأوضاع الراهنة آنذاك. فإذا أخذنا بعين الاعتبار ظروف ثورته! وكيف أنه ثار في ركود اجتماعي، ولامبالية جماعية، ويأس من إمكانية التغيير اذا أخذنا ذلك بعين الاعتبار فسندرك قيمة ثورته، ليس فقط كأنبل ثورة من ثورات التاريخ.. وإنما.. كرمز..

إن الحسين تحول بالشهادة المأساوية، والتلاحم بين الفكر والممارسة، وتقديم كل ما يملك قربانا لتحريك الوضع وتغييره، إلى رمز للثورة.. فالرمز في هذه الثورة هو الأهم: لأنه العطاء الذي لن ينضب.. ونقطة الدم الساخنة التي ستظل تنزف بالكبرياء والكرامة، وتنبض بالحق والحرية على مدى التاريخ. لقد ثار الإمام على (ماركة الإسلام) الفارغة من حقيقته، وفي ظروفه تلك التي اعتاد الناس فيها على التمسك بالمظاهر الإسلامية والتعصب لكل ما يصدر عن الجهات الحاكمة من دون تقييم لنوعيته، كانت ثورته (الأولى) من نوعها. إن الإمام عندما بدأ المسيرة لاقى معارضة عنيفة من كل (عباد) الأمة و(زهادها) وواجه فتوى صريحة بوجوب محاربته باعتباره: خارجا على إجماع الأمة، والشاق لعصاها، وكانت الفتوى صادرة من كبير القضاة في حينه، وهو شريح القاضي حيث أفتى بضرورة ووجوب محاربة الإمام باعتباره خارجا على (أمير المؤمنين)!! انه فوجئ في كربلاء بأكبر (عالم ديني) في الكوفة وهو شبث بن ربعي - الذي كان يتجاوز السبعين عاما - على راس ٤ آلاف مقاتل يقف ضده، وفي ذلك كله كانت (ثورة رائدة). كانت.. البداية!

لقد أراد الإمام الحسين عليه السلام (أن ينشل الأمة من الحضيض الذي أركست فيه إلى العز، وذلك عندما رضيت الأمة الإسلامية بواقعها المتردي، المتمثل بالخمول، والركون إلى الدنيا، والسكوت على الظلم، وتسلط الظالمين من أمثال يزيد وأبيه وأضرابهم، فأراد الإمام الحسين عليه السلام أن يبث روح الإيمان والحق فيها لتنهض من جديد، كما كانت في عهد رسول الله صلى الله عليه وآله.

ومن النقاط الهامة التي يجب أن نتذكرها دائماً عند الحديث عن الفاجعة الكربلائية إنها قضية التآخي في الله والاعتصام في كل حدث وفي كل موقف من مواقف الحياة، وبما أن

الحركة الحسينية هي حركة التآخي بين المؤمنين، فقد كان لخروج أهل بيت الحسين عليه السلام دلالة عميقة على الأبعاد الروحية لعملية التآخي تلك.

فالكل يعلم أن الإمام الحسين عليه السلام كان قائداً لجيشه الصغير المكون من بعض الشباب والرجال وحتى من النساء والأطفال، وكان ضمن جيشه الصغير وجوه عربية ووجوه غير عربية، وكان في جيشه البالغ على بعض الروايات (٧٣) شخصاً فقط، الأبيض والأسمر والأسود، وهذا يعني أن هناك فلسفة وحكمة خفية أراد الإمام الحسين عليه السلام إظهارها وتوضيحها للناس من خلال إبراز أهل بيته عليهم السلام للقيام بأدوارهم على رمال كربلاء.

وتنكشف الغيوم عن تلك الحكمة عندما ندرك أن الإمام الحسين عليه السلام أراد أن يقول لنا أن المؤمنين أخوة لأن ثورته لا تعترف باللون الأبيض ولا باللون الأسود، وحركته لا تعترف بقومية دون أخرى، وإنما كل الألوان وكل القوميات تسقط أمام ثورته وحركته لأن نهضته كانت من أجل الله ومن أجل كرامة الإنسان أينما كان فهو عليه السلام المحيي لشريعة جده صلى الله عليه وآله، وجده بعث للناس كافة وكان رحمة للعالمين.

وانطلاقاً من هذه الحقائق، أن نهضة الإمام الحسين عليه السلام (كانت نبراساً لسائر النهضات التحريرية في العالم ضد الظالمين، وكانت هي الانفجار العظيم الذي هز عرش كل الطغاة المستبدين، كما ومهدت الطريق أمام الثورات الأخرى) أن الحركة الحسينية كانت النبراس لسائر النهضات التحريرية في العالم ضد الظالمين، ومثالنا هو قول الزعيم الهندي (المهاتما غاندي) الذي أستطاع أن يحرر الأمة الهندية من براثن الاستعمار الإنكليزي البغيض، حيث وقف قائلاً بكل ثقة وصدق مخاطباً أبناء الهند: (على الهند إذا أرادت أن تنتصر، أن تقتدي بالإمام الحسين).

إن الثورة الحسينية لم تكن في يوم من الأيام إرثاً للمسلمين فحسب، وإنما الثورة الحسينية إرث للبشرية جمعاء، ولذلك إذا أرادت الإنسانية الجريحة أن تشفى من جراحها وأن تعافى من آلامها، عليها أن تعيش كربلاءها المستمدة من كربلاء الحسين عليه السلام.

إذ أن الإسلام دين عالمي لإنقاذ جميع الناس من الظلمات إلى النور، وليس دين ألف مليون مسلم فقط).

فالأمة التي لا تجعل نصب عينها ضرورة الإقتداء والامتثال لتعاليم عظمائها، خاصة إذا كان عظماؤها من المعصومين الذين يمثلون سفن النجاة ومصابيح الهدى، فلن يمكنها أن

تفلح في السير على نهج التقدم ولا يمكنها أن تعيش السعادة والرفاهية المطلوبتين، تلك الرفاهية والسعادة القائمتين على مبدأ التوازن بين احتياجات الدنيا ومتطلبات الآخرة.

حيث إن التحديات الجم في مجال الانحراف والإرهاب، وكذلك محاذير الفتن الطائفية والفتن الخارجية والداخلية، تتطلّب وضع أولويات لمحاربة هذه الثقافة الدخيلة على ديننا وثقافتنا وموروثنا الحضاري على السواء، فالإرهاب بمعنى العدوان وترويع الخصم سلوك بشرى قديم عرفته البشرية منذ أن عرفت العصبيات للعشيرة والقبيلة والطائفة والقومية، ولكنه أخذ شكلا ومضمونا جديدا في النصف الثاني من القرن العشرين. والدوافع التي تقف من خلف الأعمال الإرهابية متعددة، منها النفسية والإجتماعية والدينية والتحريضية والثقافية والسياسية، وهي تتداخل الى حد ما مع الأسباب الثقافية والسياسية والدينية. تعتمدها بعض الجماعات الاسلامية التي مارست أعمال العنف والارهاب داخل العالم الاسلامي وخارجه دون أن تكون تلك الأعمال مقاومة لاحتلال أجنبي، وتسببت تلك الأعمال في وصم المسلمين بأنهم ارهابيين وأن الإسلام نفسه دين ارهابي. وهذا ينطلق من الرؤى الفكرية السامية من خلال المنابر الإعلامية والدينية والثقافية والسياسية والاجتماعية والقيمية، من خلال أطلاق برامج توعوية وتثقيفية وتنويرية لنبذ الإرهاب ومحاربة الإشاعة ووسائل الحرب النفسية، وتنبيه الناس لخطورتها وإدراك الناس أن مخاطر الإرهاب وانعكاسه على بُنية الدولة جُلّ خطير، وتبصيرهم بخطورة تبرير مواقف الفكر المتطرّف، أو الانضمام لصفوفهم، أو المساهمة مادياً بدعمهم، أو تقديم أي أشكال التعاطف معهم، والتوضيح للمواطنين بأن الإسلام براء من كل الأفكار المتطرّفة، وأن هؤلاء المجرمين يساهمون في تشويه الصورة الناصعة للإسلام، وتوجيه المنابر الدينية والثقافية والإعلامية والاجتماعية لبث خطورة انتشار الفكر المتطرّف وضرورة محاربته.

وإن مواجهة هؤلاء لا يمكن لها أن تتحقق إذا ما تم التوقف فيها عند مواجهة ما يصدر من أحكام وما ينبني على تلك الأحكام من تصرفات ومواقف، ذلك أن هذه الأحكام والمواقف والتصرفات ليست سوى محصلة لبنية فكرية، وما لم تتم معالجة هذه البنية الفكرية، فإنها ستظل قادرة على توليد حكم وموقف وتصرف في كل مقام توجد فيه، وسيظل كل ذلك متسما بما تتسم به تلك البنية الفكرية من تطرف، كما أن من شأن التوقف عند معالجة الأحكام المتشددة والتصرفات المتطرفة للإرهاب أن يدفع أصحاب تلك العقلية

أو البنية الفكرية إلى مزيد من التشبث بما يفعلون، فهم لا يرون في تصحيح أحكامهم ومعالجة تصرفاتهم إلا حملا لهم على مخالفة ما يؤمنون به وصرف لهم عما هو منسجم مع تصوراتهم وطريقة تفكيرهم، والأخطر من ذلك كله أن يصبح تقبلهم لما يتم من تصحيح لأحكامهم ومعالجة لتصرفاتهم مظهرا من مظاهر التقية التي تجعلهم الظروف قابلين بما يتم تصحيحه وتقويمه متطلعين إلى تغير تلك الظروف كي يعودوا إلى ما كانوا عليه.

وأن معالجة الانحرافات والتشدد لا يمكن أن تتحقق بما ينتج على السطح من أحكام وتصرفات، وإنما بتصحيح طرائق التفكير نفسها، طرائق تلقي المعرفة، وطرائق التفكير في تلك المعرفة، وآليات استنتاج الأحكام من تلك المعرفة، وكيفية بناء التصرفات على تلك الأحكام ومعرفة ما هو قار منها وما هو متغير بتغير الظروف والعصور.

كما أن الفكر وأسبقيته في توجيه السلوك الإنساني باعتبار أن الانحراف الفكري يولد التطرف السلوكي وإذا أردنا أن نواجه أو نقلل من التطرف السلوكي علينا أن نتغلب على التطرف الفكري وحيث أن التطرف الفكري يتسم بخصائص متعددة من أبرزها: النظرة أحادية الرؤية للأشياء والأفكار والنظم فضلاً عن محدودية مصادر المعرفة وضحالتها والتشبث بالآراء الذاتية وإصدار أحكام جازمة ومفرطة في التعميم على الأحداث والظواهر لا تستند إلى أدلة كافية ومقنعة وتجنب التعديل في وجهات النظر إن استدعى الأمر ذلك وعدم الأخذ في الحسبان الظروف الموقفية في الحكم على سلوك الآخرين ـ لذا فإنه من بين أكثر الاستراتيجيات ملاءمة والتي تنبع منها العديد من الآليات بطبيعة الحال لمواجهة ذلك النمط من التفكير المولد للانحراف الفكري تنمية مهارات التفكير متعدد الرؤى والذي يتسم بعدد من العناصر التي تعد ضرورية لبناء العقلية القادرة على الحكم على الأمور وإصدار الأحكام وممارسة السلوك الرشيد الذي يتجنب الدخول في المشكلات قدر الإمكان وإن دخل فيها فاحتمالات التغلب عليها وتقليص آثارها السلبية يظل مرتفعاً.

إذ يرى البعض إن الانحراف هو صفة ملازمة للإرهاب ولكننا نرى إن الانحراف يعد الأساس الفكري الذي يؤدي إلى هذه الظاهرة هو احتكار المرء للحقيقة أو الفضيلة وان غيره يفتقرون إلى ذلك فهم دائما على خطا وباطل إن الانحراف شكلا أخراً من التمسك والتصلب للرأي الذي يؤمن به الشخص أو العقيدة التي يعتنقها إذ لا يكتفي من الاعتقاد بصحة أقواله وكفى بل يصل الحد إلى تخطئة الآخرين واتخاذ موقف معين إزاءهم إذ يرى

إثبات وجوده من خلال هدم الغير وبيان عيوبهم ونواقصهم، والمشكلة لا تقف عند هذا الحد بل تتعداه لان عملية إثبات الوجود تكون في الغالب غير منحصرة على شخص محدد بشكل فردي إي أنها ليست فردية شخصية ولكن من خلال اندماج الفرد في جماعة معينة إي الجماعة التي ينتمي إليها إي إن هناك عملية دمج مع الجماعة بحيث إن آراءه هي أراء الجماعة التي ينتمي لها بشكل تذوب فيه شخصيته وعقله وتغييب الروح النقدية عنده إي إن العملية تصبح عملية استقبال ليس إلا للآراء الملقنة إليه فنلاحظ إن الكثير عندما ينتمي إلى جماعة معينة فهو يقلدها إي يقبل آراءها دون فكر وروية ودون تمحيص وهنا تكمن خطورة الامر لأنه يعد خطوة الانطلاقة إلى ظاهرة الارهاب، وباختصار هناك امتلاك حقيقة هناك انحراف يؤدي إلى الارهاب ثم ينتهي إلى العنف.

ولذلك فإن حركة الإمام الحسين مع أهل بيته عليه السلام مركزاً على أن أحد أهداف تلك الحركة (تصحيح سلوك الناس وتقويمه، بعد أن تلون سلوك الناس وأخلاقهم في ظل النظام الأموي بطابع العنف والاستبداد والوحشية والاستهتار بما لا يتناسب مع الخلق الإسلامي والإنساني، فأعاد الإمام عليه السلام بنهضته الشريفة مكارم الأخلاق التي بناها جده الكريم صلى الله عليه وآله وقدمها إلى البشرية ودعى الناس للتخلق بها في كل مراحل الحياة).

ولقد أعطانا الإمام الحسين عليه السلام درساً في الصمود في ميدان المطالبة بالحق مهما بلغ بطش الطغاة، قال عليه السلام: " ألا وإنّ الدعي ابن الدعي قد ركز بين اثنتين بين السلّة والذلّة، وهيهات منّا الذلّة يأبى الله لنا ذلك ورسوله...، والطاغي إنّما جعل له خيارين: إمّا الخضوع والذل والاستسلام، وإمّا القتال والاستشهاد، فاختار الإمام عليه السلام لغة القوّة وان لم يبتدئ بها، ولكنّه رفض الخضوع أمام القوّة والتهديد، وهذا هو الدرس المستفاد من عاشوراء، وهو عدم الاستسلام لبغي وبطش الدول الكبرى على حساب المبادئ والقيم والالتزام بالخط الإلهي العظيم، وحينئذ تكون مجابهة القوّة بالقوّة مجابهة مشروعة، وكان الإمام الحسين عليه السلام له حدود لا يخرج عنها، وله موازين لا يتعدّاها، وهي الموازين الشرعية الإسلامية.

لذلك علينا إحياء الشعائر الحسينية والتركيز على عملية تجديد الشعائر الحسينية في النفوس والعقول عند كافة المسلمين الذين يريدون حقاً بناء وصياغة الشخصية الإسلامية على أعلى وأسمى المستويات الإنسانية الراقية.

ويمكن اعتبارا الباعث الأول للمواكب الحسينية هو التأكيد على صدق الموالاة لأهل

البيت عليهم السلام فكراً وممارسة، بالإضافة إلى التعاطف الوجداني لما لحق بهم عليهم السلام من فواجع ونكبات بعد غياب صاحب الرسالة الإسلامية صلى الله عليه وآله والتي لا يمكن لكل ذي بصيرة أن يرى في تلك الفواجع والنكبات التي لحقت بهم عليهم السلام إلا محاولة جادة لإجهاض رسالة محمد صلى الله عليه وآله من خلال محاولات أعداء محمد صلى الله عليه وآله الدؤوبة الانتقام منه عن طريق إلحاق الأذى و (تصنيع) الفواجع والنكبات لذريته المتمثلة بأولاد علي وفاطمة (عليهما السلام).

فالمنبر الحسيني محطة هامة في المسيرة الحسينية الداعية للعودة إلى مبادئ وتعاليم السماء الموحى بها إلى الرسول الأمين صلى الله عليه وآله آخر سفير للسماء على الأرض.

من ذلك نرى إن الثورة للإمام الحسين عليه السلام وأيديولوجية الحركة الاستشهادية التي تسير في خط الموت الجسدي بهدف الوصول إلى البقاء الروحي،:

أ) هي التجسيد الحقيقي للكثير من المفاهيم والقيم الإنسانية النبيلة في الحياة كالتضحية والعدالة والحق والحرية والرفعة الإنسانية.

ب) استنفار دائم للإنسان كي يعيش في كل لحظة من عمره حالة الاستعداد الدائم لمواجهة الباطل والشر أينما وجد وفي أي عصر كان،

ج) تحقيق لقول الله سبحانه وتعالى: (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين) (العنكبوت:٦٩) فجهاد الحسين عليه السلام امتداد لحركة الأنبياء الجهادية.

د) ثوره الإمام الحسين عليه السلام الجهادية عبارة عن إعادة تشكيل وبلورة الشخصية الإسلامية الرسالية القادرة على إدراك معاني وأهداف وجوده في الحياة من خلال متغيراتها الحركية وخط سيرها للإمام.

هـ) ما يتبعها من مراسم وطقوس كالمنابر والمجالس الحسينية، عبارة عن وسيلة فعالة لشحن وتفعيل عوامل التحدي ضد قوى الاستكبار والارهاب مهما كان حجمها ومهما كانت قوتها ومظاهر جبروتها.

و) على الرغم من أن ثورة الحسين هي الوريثة الشرعية للرسالة الإسلامية المحمدية، إلا أن واقعها الحركي وغاياتها الإنسانية الشاملة حولتها من ثورة إسلامية إلى ثورة عالمية لا تستطيع الحواجز القومية أو الاعتبارات العرقية أن تصمد أمام عنفوانها وأهدافها الإنسانية السامية.

وهكذا نرى إننا تفاعلنا عملياً في سبيل إعادة وإحياء الشعائر الحسينية بعد أن رفع النقاب عن العديد من الجوانب الفلسفية لتلك النهضة التي كانت نقطة انطلاقها كربلاء في عاشوراء، أما حدودها فهي حدود العالم في كل زمان وأوان.

هوامش البحث ومصادره

١- الإمام السيد محمد الحسيني الشيرازي (عاشوراء والعودة إلى الإسلام) دار صادق بيروت ط٢/٢٠٠٣م ص١١.

٢- توفيق أبو علم (الحسين بن علي) دار المعارف بمصر - القاهرة ط٢/١٩٨٢ ص١٨.

٣- الإمام السيد محمد الحسيني الشيرازي (رسالة عاشوراء) طبع هيئة محمد الأمين – بيروت ط١/١٤٢٢هـ ص٣.

٤- إبراهيم الحيدري (تراجيديا كربلاء) دار الساقي – بيروت ط١/١٩٩٩م ص١٦.

٥- الإمام السيد محمد الحسيني الشيرازي (قبس من شعاع الإمام الحسين عليه السلام) دار صادق بيروت ط٢/٢٠٠٢ ص٣٠.

٦- ثقافة عاشوراء في فكر الإمام الشيرازي إعداد ونشر مركز الإمام الشيرازي للبحوث والدراسات بيروت – دمشق ط١/ ٢٠٠٢م ص١٢.

٧- عبد الله عدنان المنتفكي (الثورة الحسينية في الفكر العالمي) مجلة الثقافة الإسلامية إصدار المستشارية الثقافية الإيرانية بدمشق – راجع عدد تموز –آب ١٩٩٣م العدد (٥٠) ص٤٤.

٨-الإمام السيد محمد الحسيني الشيرازي (الحسين مصباح الهدى) مؤسسة السيدة زينب عليها السلام بيروت د.ت ص١٥.

٩- الإمام السيد محمد الحسيني الشيرازي (الحسين مصباح الهدى) مؤسسة السيدة زينب عليها السلام د.ت ص١٩.

١٠- الإمام السيد محمد الحسيني الشيرازي (الحسين مصباح الهدى) مؤسسة السيدة زينب عليها السلام د.ت ص١٦.

١١- في رحاب الإمام الشيرازي إعداد المؤسسة العالمية لإحياء تراث الإمام الشيرازي مؤسسة المجتبى بيروت ط١/٢٠٠٢م ص١٥.

١٢- نفس المصدر السابق ص٥٧.

١٣- الإمام السيد محمد الحسيني الشيرازي (عاشوراء والقرآن المهجور) مؤسسة المجتبى بيروت ط١/ ١٤٢١هـ ص٣٦.

١٤- الإمام السيد محمد الحسيني الشيرازي (الصياغة الجديدة لعالم الإيمان والحرية والرفاه والسلام) مؤسسة الفكر الإسلامي بيروت ط٣/ ١٤١٣هـ ص٧٢٨.

١٥- الإمام السيد محمد الحسيني الشيرازي عشت في كربلاء مركز الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله بيروت ط٢/٢٠٠٣م ص٧٧.